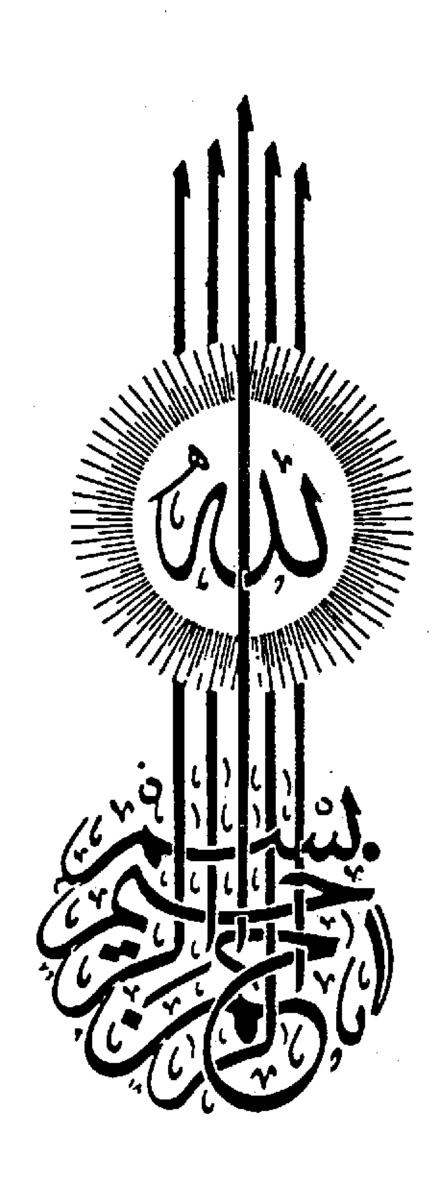


المفهوم الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية

دكتور / أمين منتصر


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعيش عالمنا في العصر الحالي حقيقتين هامتين متناقضتين الأولى أن الإنسان قد بلغ اليوم من الفهم والإدراك لطبيعة علم الاقتصاد ونظرياته وقواعده مبلغاً لم يدركه في أي وقت مضى ، والثانية أن هذا الإنسان لم يعان من المشاكل الاقتصادية سواء على المستوى المحلي أو على المستوى العالمي أكثر مما يعاني منها اليوم . ويعني هذا ببساطة أن الإنسان رغم ما بلغ من علم واتساع أفق لم يهتد إلى الأسس والمبادىء السليمة التي تنظم حياته الاقتصادية لتحقق له الرفاهية التي ينشدها .

ويدور العالم اليوم في فلك مذهبين اقتصاديين Two economic doctorines كبيرين يشغلان أذهان بني الإنسان سياسياً وفلسفياً ، وتوجد كذلك بعض المذاهب الأخرى الأقل شأناً والتي تختلف فيما بينها بمقدار القرب أو البعد من أي من المذهبين . ولقد كان من نتيجة تطبيق هذين المذهبين أن عانى العالم من آتون الصراع بين أبنائه إلى درجة تهدد انتزاع حياة البشر نفسها من على كوكبه(*) .

ولقد احتلت طموحات الرفاهية مكاناً متسعاً في أذهان البشر وقلوبهم ، واتخذها البعض أداة لإثارة القلاقل بين الشعوب والتأثير عليها وجذبها لمذاهبها اللادينية الباطلة False profance economic doctorines وذلك بخداع هذه

(*) البهي الخولي ، الثروة في ظل الإسلام ، الناشرون العرب ، القاهرة ، ١٣٩١هـ ـــ ١٩٧١م ، ص ٩ .

الشعوب بأنها تحارب الفقر وتسعى للغنى ، ساعد على ذلك جهل بعض المسلمين بالإسلام وتأثرهم بالدعايات المضللة Misleading propaganda التي تحاول أن تشوه صورته .

إن للإسلام نظرة مختلفة إلى العلاقات الاقتصادية المختلفة تخالف نظرة المذاهب الأخرى باختلاف اتجاهاتها ، إنها نظرة متميزة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور .

Distinguished view, neither of the east nore of the west whose oil is well-nigh luruinous, though fire scarce touched it, light upon light.

ولقد حاول بعض الفقهاء المسلمين توضيح وجهة النظر الإسلامية في العلاقة بين الغني والفقير على ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكتبوا في ذلك كتابات قيمة منها ما تناول فقه الزكاة ومنها ما تناول دور الإسلام في التكافل الاجتماعي ومنها ما تناول مشكلة الفقر وعلاج الإسلام لها .

ومن الناحية الاقتصادية لم يتعرض الاقتصاديون المسلمون لدراسة تلك العلاقة وطبيعتها الاقتصادية وحدودها . وهو ما تحاول هذه الدراسة أن تقدمه .

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

دكتور

أمين منتصر

مكة المكرمة في رمضان عام ١٤٠٨هـ

هدف البحث وأهميته :

يهدف هذا البحث إلى دراسة المفهوم الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية وذلك بتوضيح منظور الإسلام حول العلاقة بين المستويات الاقتصادية لجميع أفراد المجتمع بمختلف درجاته . ويفيد هذا البحث صانع السياسة ومتخذ القرار في الوقوف على الحدود المثلى لتوزيع الدخل القومي بين درجات الأمة المختلفة غنيها وفقيرها بما يتفق مع المنهج الاقتصادي الإسلامي The islamic economic curriculum للوصول إلى أعلى مستوى ممكن من الرفاهية الاقتصادية للمجتمع .

مجال البحث وأسلوب الدراسة :

يتمثل مجال هذا البحث في المنهج الاقتصادي الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية وذلك بمقارنة المنظور الإسلامي لحل مشكلة الفوارق بين الدرجات بمنظور باقي المذاهب والنظم الاقتصادية الأخرى المتطرفة الحائدة عن الصراط المستقيم The straight way الجانحة بين الإفراط والتفريط وبيان كيف يعالج الإسلام مشكلة الفقر بطريقة إيجابية ووسائل عملية واقعية . ويتم ذلك بالاستعانة بالمراجع الاقتصادية وكتب التفسير والفقه والحديث المختلفة واستخدام بعض الأدوات التحليلية الحديثة . ويقدم هذا البحث ولأول مرة بعض النماذج الاقتصادية التحليلية للمفهوم الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية .

الفلسفات غير الإسلامية في الفقر

عرف البشر بمختلف أجناسهم ومذاهبهم التفاوت بين الطبقات والفقر والفقراء منذ أزمنة تمتد إلى أعماق التاريخ . ولقد حاولت شتى الأديان والفلسفات منذ القدم أن تتخلص من مشكلة الفقر Poverty problem أو تخفف عن الفقراء واتبعت في سبيل ذلك عدة أساليب وطرق اختلفت باختلاف هذه الأديان وتلك الفلسفات . وقبل توضيح مفهوم الإسلام لرفاهية البشر ، نوضح فيما يلي المفاهيم المختلفة غير الإسلامية لحل مشكلة الفقر وتحقيق الرفاهية(*) :

١ ــ فلسفة تمجيد الفقر والترحيب به :

وهذه الفلسفة تبناها بعض المتقشفين والزاهدين الذين يرون أن الفقر ليس مشكلة ينبغي الخلاص منها ، بل هو نعمة من الله على عباده الصالحين الذين يريد الله بهم خيراً إذ أن الفقر يجعل الإنسان على اتصال دائم بربه لا يؤمل كثيراً في الدنيا بل يرجو ثواب الآخرة وهذا لا يتأتى إلا بالتخلص من أسباب الحياة وطيباتها والاكتفاء بما يحفظ للإنسان أوده . ولقد انتشرت هذه الفلسفة في بعض الأديان الوثنية والأديان السماوية، كما تبنى هذه الفلسفة بعض متصوفة المسلمين Contemplatives وذلك بتأثير الثقافات الأجنبية الدخيلة على الإسلام . وخلاصة القول فإنه نظراً لأن هذه الفلسفة تقدس الفقر فإنها لا تقدم له حلاً إذ أنها لا تعتبر الفقر مشكلة أصلاً .

(*) دكتور يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

٢ ــ فلسفة الاستكانة للفقر والخضوع له :

وهذه الفلسفة تعترف بأن الفقر مشكلة لكنها لا ترى أنه يجدي معها حلٌّ معين . إذ أنها ترى أن الفقر قضاء الله الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، إذ أن مشيئة الله أن ترفع البعض فوق البعض درجات Raise some of them above others in ranks وأن الله جل وعلا يبسط الـــرزق لمن يشاء من عبـــاده ويقـدر .. God enlarges the sustenance to whichever of his servents and he grants by measure كلام حق كثير لكن يراد به باطل !! وهـذه الفلسفـة لا تقـدم شيئـاً سوى نصح الفقـراء بالصبر Patience والـرضا بالـقضاء والصبر على البلاء على ألا يحاولوا تغييره ، فهي ترى أن الفقر جبر على الفقراء وقدرهـم ، كما أنها لا تطالب الأغنياء بعمل شيء حيال أزمة الفقراء !! .

٣ ــ فلسفة مقاومة الفقر بالإحسان الاختياري :

وهـذه الفلسفـة تنظـر إلى الفقـر على أنـه مشكلـة كما أنها تحاول أن تجد له حلاً ، لكن الحل لا يتمثل فقـط في حـث الفقـراء على الصبر والقناعـة بل يتوجـه أساساً إلى الأغنياء فيطالبهم بالإحسان والبذل والعطـاء بالترغـيب والترهـيب علهـم يرجـون ثواب الله في الدنيـا والآخرة The reward of God in the live of world and hereafter ولينجوا من العذاب وسوء المصير في الآخرة . ولقـد انحصرت هذه الفلسفة في الأديان السماوية السابقة على الإسلام خاصة في العصور الوسطى .

٤ ــ فلسفة الرأسمالية Capitalism philosophy :

وتعتـرف هذه الفلسفـة بأن الفقـر مشكلـة ينبغـي حلهـا ، لكنها ترى أن الفقـراء أنفسهـم هم المسئولـون عن كونهم فقـراء ، ربما لقلـة كفـائتهم أو لحظهـم

العاثر ، أي أن هذه الفلسفة تبرىء المجتمع والأغنياء من مسئولية فقر الفقراء ، كما تعزي غنى الأغنياء إلى ذكائهم وحدهم وعلى ذلك فهم أحق بما لهم دون سواهم .. إنها فلسفة قارون الذي يرى أن ماله إنما أتاه على علم عنده !! إنها فلسفة الأنانية Selfhood التي لا تكلف الأغنياء مسئولية مساعدة الفقراء إلا من باب العطف والتفضل . ولقد سادت هذه الفلسفة منذ مطلع العصر الحديث . ولقد اضطرت هذه الفلسفة أخيراً إلى الاعتراف بقليل من الحق للفقراء فيما أسمته بالضمان الاجتماعي وذلك بأن يدفع كل مواطن غني أو فقير مبلغاً من دخله يؤمنه عند عجزه على أن تكون قيمة نصيب كل فرد من هذا التأمين متناسبة مع قيمة ما يدفعه من أقساط وهذا من شأنه جعل قيمة نصيب الفقراء أقل من قيمة نصيب الأغنياء !! .

٥ ـ فلسفة الاشتراكية الماركسية Marxisme socialism philosophy :

وتعترف هذه الفلسفة بأن الفقر مشكلة .. بل مشكلة خطيرة ينبغي أن يكون لها حلول جذرية تصل إلى القضاء المبرم على طبقة الأغنياء والاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم بتذكية نزعة الحقد The spite tendency والبغضاء في قلوب الطبقة الكادحة الفقيرة ذات السواد الأعظم من البشر وتأليبها على طبقة الأغنياء القليلة فتنتصر في النهاية الطبقة الكادحة والتي أطلقوا عليها البروليتاريا لتقضي قضاءاً مبرماً على طبقة الأغنياء . أضف إلى ذلك فإن الفلاسفة الاشتراكيين بمختلف طوائفهم سواء كانوا اشتراكيين ثوريين أو علميين أو ماركسيين لا يرون أن لأحد الحق في تملك أي شيء خاصة أدوات الإنتاج . إذ أنهم يرون أن هذا التملك هو أساس الشرور التي يعاني منها أي مجتمع ، كما أنهم يتفقون جميعاً على النظرة المادية Materialistic view للأمور ومحاربة الدين وعزله عن المجتمع .

فلسفة الإسلام في الفقر

تختلف فلسفة الإسلام في مشكلة الفقر اختلافاً بيناً مع الفلسفات المختلفة السابق شرحها وذلك على النحو التالي[1] : فمن ناحية يرفض الإسلام نظرة تمجيد الفقر والترحيب به على نحو ما تراه الفلسفة الأولى السابق شرحها ، إذ لا توجد آية قرآنية واحدة كما لا يوجد حديث شريف واحد يمجد الفقر أو يمدحه ، فالفقر في الإسلام مشكلة ينبغي العمل على حلها . ولا يتعارض هذا مع تشجيع الإسلام للزهد ، إذ أن الزهد في الدنيا لا يعني الفقر ، فالزاهد هو من ملك المال فجعله في يده للخير ولم يحفظه في قلبه ، أما الفقير الذي لا يجد فليس بزاهد إنما هو محتاج لا يجد . والغني في الإسلام ليس غضباً من الله على الفرد بل هو نعمة يهبها الله لعباده وينبغي شكره عليها ومما يدلل على ذلك أن الرسول الكريم محمد ﷺ God sends blessings on him and salute him قد دعا لأنس رضي الله عنه ، وكان من بين ما قاله : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له »[2] .

والإسلام يعتبر الفقر خطراً على إيمان الإنسان بربه خاصة إذا كان الفقير كادحاً وكان الغني متقاعساً ، فقد يكون الفقر حينئذ مدعاة للشك في عدالة الله سبحانه وتعالى في توزيع الأرزاق على عباده ، ولذلك فقد استعاذ الرسول بالله من الفقر مقترناً بالكفر إذ قال ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر » رواه أبو داوود وغيره[3] . كذلك فالفقر خطر على الأخلاق والقيم ، إذ قد يدفع الفقير

(١) دكتور يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق .

(٢) ابن عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، الأدب المفرد ، حقق نصوصه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ ، رقم ٨٨ .

(٣) أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داوود ، ضبطه الشيخ محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، كتاب الأدب ، ص ١٠١ .

تحت ضغط فقره إلى سلوك يتعارض مع أخلاقه ومبادئه ، إذ أن صوت المعدة أقوى أحياناً من صوت الضمير !! . كما أن الفقر خطر كبير على الأسرة وكيانها ، لذا فقد أوصى الله سبحانه وتعالى بعدم الزواج لمن لا يملك المال اللازم للإنفاق على الأسرة ، إذ قال جل وعلا في كتابه الكريم : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ سورة النور ، الآية رقم ٣٣ . والفقر كذلك خطر على المجتمع والاستقرار الاجتماعي ، إذ أن الفقير الكادح الذي لا يجد قد يضطر إلى ارتكاب بعض المخالفات الشرعية ، وفي هذه الحالة لا يمكن للحاكم المسلم أن يعاقبه طالما أنه لم يوفر له قوته وقوت أولاده . ولقد روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال : « عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه »(*) .

كذلك فالإسلام ينكر الفلسفة الثانية التي تزعم أن الفقر حتم وقدر مقدر لا راد له فليرض كل فقير بما قسم له ولا يطلب تبديلاً ولا تغييراً . ولقد جاء الإسلام ليحارب تلك النظرة الجبرية وذلك بإرسائه مبدأ هام هو أن لكل داء دواء وأن الذي خلق الداء خلق الدواء ، وأن المؤمن الصادق يدفع قدراً بقدر . وعلى ذلك فإن مقاومة الفقر والتحرر منه بالطرق المشروعة من قدر الله أيضاً وأن معنى الرضا بالقضاء والصبر على البلاء ليس معناه الاستكانة للفقر بل معناه أن الإنسان لا ينبغي أن يكون شديد الطمع والحرص على الدنيا لا يشبع منها ، إن الدين يهديه إلى الاعتدال في السعي والإجمال في طلب الرزق وبالتالي يتمتع الإنسان بالسكينة Assurance التي هي سر سعادة البشر ولذلك يجب على الإنسان عدم الإفراط والغلو لكي لا يرهق نفسه وبدنه ومن يعول ، ولقد ذكر

(*) خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، دار الفكر للطباعة والنشر ببيروت ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ص ٧٠ .

أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته »(*) فلو استسلم الإنسان لنزعة الطمع فيه لقضى على نفسه ومجتمعه .

ويتفق الإسلام مع فلسفة الإحسان الاختياري بالترغيب والترهيب وإن كان ينكر اقتصار الإحسان على الجانب التطوعي ويرى أن ترك الفقراء تحت رحمة الأغنياء فيه ضياع لهم خاصة إذا ضعف إيمان الأغنياء وغلبت عليهم الأنانية . فعلى الرغم من جلال وسمو فكرة الإحسان التطوعي إلا أنها لا تستأصل الفقر من جذوره ولا تعين المحتاجين .

وينكر الإسلام الفلسفة الرأسمالية التي ترى أن المال ملك مطلق لصاحبه وبالتالي فهو صاحب الحق في المنح وصاحب الحق في المنع ، كما أن له الحق في أن ينفق هذا المال كما يحلو له على ملذاته وشهواته . إن الإسلام ينكر تلك النظرة لرأس المال ويرى أن المال مال الله وأن الغني مستخلف فيه وأمين عليه . صحيح أن لصاحب المال حقاً لكن للفقير حق فيه أيضاً ، فقد قال الله جل وعلا في محكم آياته : ﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ سورة الحديد ، الآية رقم ٧ . فالمال إذن مال الله الذي استخلف الإنسان فيه وعليه أن ينفقه وفق إرادة الله بأن ينفقه فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع وأن يؤدي حقوق الفقراء فيه .

ويرفض الإسلام الفلسفة الماركسية رفضاً مطلقاً . فالإسلام لا يقر تحطيم

(*) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، ص ٩٠ .

درجة لمصلحة درجة ولا يقر تأليب الناس بعضهم على بعض وإثارة الحقد والكراهية بينهم مهما تكن الأسباب والدوافع . ويرجع رفض الإسلام للفلسفة الماركسية إلى الأسباب الآتية :

١ ـــ لا ينبغي أن يعاقب الأغنياء جميعاً على غناهم فمنهم من حصل على ماله بوجه حق ويؤدي ما عليه من التزام قبل الفقراء ، ومنهم من حصل عليه بالاستغلال والنهب ، كذلك منهم من طغى وأفسده المال فأكل حق الفقير ، ومن ثم فليس من العدل أن تعاقب درجة بأكملها بسبب فساد بعض أفرادها وقد قال الله جل وعلا : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ سورة الأنعام ، الآية رقم ١٦٤ .

٢ ـــ كذلك يقر الإسلام مبدأ الملكية الخاصة للمال لأنها تتفق مع غريزة التملك لدى البشر ، ولا ينبغي أن يكون استخدام البعض ملكيته في استغلال البعض سبباً في مصادرة ممتلكات البشر جميعاً . فالتملك في حد ذاته مبدأ سليم وأن الخلل يأتي من فساد صاحبه ، فإذا امتلك المال عباد صالحون استخدموا المال في خيرهم وخير مجتمعهم وقد قال الرسول الكريم ﷺ : « نعم المال الصالح للرجل الصالح »(*) .

٣ ـــ كذلك يرفض الإسلام الوسيلة الماركسية في إذابة الفوارق بين الطبقات بتأجيج نار الصراع بينها وتأليبها على بعضها ، إذ أن الحقد لا يبني بل يأكل أي بناء كالنار أو ليس الله سبحانه وتعالى قد نصحنا بالإصلاح بين الأخوة بدلاً من إثارة الحقد بينهم بقوله : ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ سورة الحجرات ، الآية رقم ١٠ .

(*) ابن عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، الأدب المفرد ، مرجع سابق رقم ٢٩٩ .

٤ ــ كذلك فلا يقر الإسلام حل مشكلة الفقر بين الناس على هذا النحو لو سلمنا جدلاً بإمكان هذا الحل ، وخلق مشكلة أخرى هي خلق حكم دكتاتوري مستبد لا يترك للأمة الفرصة للعمل والإنتاج في حرية ، ففي الماركسية يتحول الشعب إلى أدوات جامدة يحركها جهاز حزبي حاكم مستبد .

وبصفة عامة فإنه يمكن توضيح منهج الإسلام في حل مشكلة الفقر وتحقيق الرفاهية على النحو التالي(*) .

١ ــ الإسلام لا يمجد الفقر ، كما أنه لا يدعو للاستكانة له بل يعتبره مشكلة يجب حلها .

٢ ــ الإسلام يرى أن العمل هو أمضى الأسلحة لحل مشكلة الفقر لأنه سبب جلب الثروة وهو أساس عمارة الأرض التي استخلفنا فيها الله جل وعلا .

٣ ــ الإسلام لا ينكر مبدأ الإحسان الاختياري بل يحث عليه ، بل يرى أن في مال الأغنياء حقاً معلوماً للسائل والمحروم A recognized right for the who asks and him who is prevented بالإضافة إلى ذلك الإحسان الاختياري ، ومن ثم وجب على الحاكم جمع هذه الحقوق من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء والمعوزين على النحو الذي حدده الإسلام ، وهذا لا يقلل من مسئولية الأقارب الأغنياء حيال أقاربهم الفقراء .

٤ ــ الإسلام يرى أن تتكفل الخزانة الإسلامية بكفاية الفقراء في حالة عدم كفاية الزكاة وباقي الصدقات Charities لكفايتهم . فيمكن للحاكم أن

(*) دكتور يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق .

يستخدم جزء من موارد الخزانة الإسلامية كخمس الفيء والخراج والعشور والجزية وغيرها في كفاية هؤلاء الفقراء في هذه الحالة . أضف إلى ذلك أنه يمكن للحاكم الذي تجب طاعته بشروط خاصة أن يفرض حقوقاً إضافية يجمعها من الأغنياء والقادرين لإنفاقها على الفقراء في حالات الضرورة .

بعض المناهج الوضعية للرفاهية

وقبل استعراض بعض النماذج الاقتصادية الإسلامية للرفاهية ينبغي توضيح الأفكار الأساسية التي اعتمد عليها الاقتصاديون الوضعيون في صياغة نماذجهم الاقتصادية لتحليل الرفاهية لبيان مدى مطابقة تلك النماذج للواقع الاقتصادي(*) .

وبصفة عامة يقصد الاقتصاديون الوضعيون بالرفاهية مستوى حياة مرتفع متطور يحقق للإنسان أقصى قدر ممكن من الإشباع ويوفر له السعادة ورغد العيش .

ولقد استخدم بيجو فكرتي حجم الدخل القومي لتحليل الرفاهية . فبالنسبة لحجم الدخل القومي قد افترض بيجو أن أي زيادة في الدخل القومي الكلي للمجتمع تؤدي إلى زيادة الرفاهية الاقتصادية على شريطة أن نصيب الفقراء من هذا الدخل لا ينقص عما كان عليه قبل الزيادة(*) . ويتعارض الفكر الاقتصادي الإسلامي مع ما ذهب إليه بيجو في هذا الشأن للسببين التاليين :

(*) دكتور حسين عمر ، الاقتصاد التحليلي ، مرجع سابق .

(*) Tweeten, Luther, Foundation of Form Policy, University of Nebraska Press, Lincoln, 1970.

١ ــ بافتراض أن نصيب الفقراء المطلق سوف يظل على ما هو عليه فإن نصيبهم النسبي سوف يقل ، إذ أن الزيادة في حجم الدخل القومي سوف تذهب كلها إلى الأغنياء وبذلك تزداد الفجوة بينهم وبين الفقراء .

٢ ــ زيادة مستوى دخول الأغنياء مع ثبات مستوى دخول الفقراء يزيد من قدرة الأغنياء على الاستهلاك مما قد يؤدي إلى ارتفاع الأسعار فيتأثر بها الفقراء ذوو الدخل الثابت .

أما بالنسبة لفكرة بيجو حول توزيع الدخل القومي فإنه يرى أن التغييرات في توزيع الدخل القومي لصالح الفقراء تؤدي إلى زيادة الرفاهية الاقتصادية وهذا يتفق مع المفهوم الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية على النحو الذي سيرد شرحه بالتفصيل فيما بعد . وبصفة عامة يمكن القول بأن تعريف بيجو وتحليله للرفاهية اعتمد على الأساس المادي فقط .

ولقد اختلف رادوميزلر في تحليله لاقتصاديات الرفاهية مع بيجو فأوضح أن الرفاهية الاقتصادية تتناول المشاعر والإحساسات للجنس البشري The Humankind Feelings and Sensations.

كما أنه يرى أن الرفاهية أو السعادة ليست شيئاً بسيطاً سهل إدراك معناه أو مفهومه ، إذ ما يعني به اقتصاديو الرفاهية هو جزء من الرفاهية فقط ، أما باقي الاعتبارات الأخرى غير الاقتصادية فهي مستبعدة تماماً من تحليلهم . ويعتقد رادوميزلر أنه لا ينبغي فصل الرفاهية الاقتصادية عن الرفاهية العامة ، إذ أن الرفاهية وحدة متجانسة فلا يمكن الفصل بين ما هو اقتصادي وما هو غير اقتصادي حتى لو أمكن دراستهما بمعزل عن بعضهما . وبصفة عامة فإنه يمكن القول بأن مفهوم رادوميزلر عن الرفاهية يتفق في بعض نواحيه مع المفهوم الإسلامي لها وهو أكثر نضجاً من مفهوم بيجو في هذا الصدد .

وبصفة عامة ينقسم الاقتصاديون الوضعيون فيما يتعلق بالجدل Controversy الدائر بينهم منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن ، حول موقف علم الاقتصاد من القيم والمعايير الأخلاقية إلى فريقين : أولهما يرى بأن علم الاقتصاد إيجابي Positive Economics أي ليس له قيم ومعايير أخلاقية وهو في ذلك مثله مثل أي علم من العلوم الطبيعية يهتم بما هو كائن بالفعل وليس بما ينبغي أن يكون Whot is not with what out to be ومن أمثال هؤلاء الفرد مارشال وبيجو وباريتو وروبنز وسامولسون وملتون فردمان[1] . وفي نفس الوقت يرى الفريق الآخر من الاقتصاديين الوضعيين أن علم الاقتصاد هو علم معياري Normative Economics أي يرتكز على مواقف حكمية مسبقة ويعتمد على علوم أخرى كالقيم والمعايير الخلقية Ethical Norms لازمة لاقتراح سياسات اقتصادية تتفق وقيم ومعتقدات الأفراد Values and Believes ومن أمثال هؤلاء جون ستيوارت ميل وبنتام وليون فالراس وجورج شولتز وزير الخارجية الأمريكي الحالي[2] .

وفيما يلي دراسة لكل من المنهج الرأسمالي والمنهج الماركسي للتحليل الاقتصادي للرفاهية :

---

(١) ملتون فردمان هو من أبرز علماء الاقتصاد الأمريكيين المعاصرين ولقد حاز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٧٦م .

(٢) دكتور محمد أحمد صقر ، الاقتصاد الإسلامي .. مفاهيم ومرتكزات ، المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي ، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٩٨٠م ، ص . ص ٣٤ — ٤٢ .

Robert Y. Awh: Microeconomic: Theory and Applications,
John wiley & Sons, Inc. New York, 1976.

أولاً : المنهج الرأسمالي للتحليل الاقتصادي للرفاهية :

يرتكز المنهج الرأسمالي في تحليله لاقتصاديات الرفاهية على ركيزتين أساسيتين هما :

١ ــ تجاهل الناحية الروحية أو الأخلاقية في التحليل :

على الرغم من اعتراف الفسلفة الرأسمالية الغربية بأهمية الناحية الروحية أو الأخلاقية وبأثرها على السلوك الاقتصادي للأفراد إلا أنها لا تضعها في اعتبارها عند معالجتها للجوانب الاقتصادية المختلفة ، فهي في تحليلها لاقتصاديات الرفاهية تفصل دائماً بين الناحيتين المادية والروحية(*) The spiritual and materialistic sides ولقد انعكس ذلك بالتالي على أدوات تحليلهم للرفاهية وكذا على نماذجهم التي استخدموها في التحليل إذ أنها نماذج مادية لم تترك للناحية الروحية أي حيز فيها ، وعلى ذلك فهي تدور في حلقة مفرغة وتفشل في النهاية في توفير الرفاهية والسعادة للمجتمع . ويتضح ذلك جلياً في صياغتهم لنظرية المنفعة والتي اعتمدت في قياس المنفعة على عدد الوحدات التي يستهلكها الفرد وبالتالي فهي منفعة مادية . وإنما الأصل أن تكون المنفعة محصلة للمادة والروح لأنها منفعة إنسان وليس جماداً . ولعل خير دليل على فشل الاقتصاديين الوضعيين سواء كانوا رأسماليين أو ماركسيين ، على نحو ما سيرد فيما بعد ، في الربط بين المادة والروح هو ما ردده البرت أينشتين عندما لمس لب الحقيقة بقوله : « إن الإنسان تقدم في ناحيته الحسية ولم يتقدم في ناحيته الروحية » . أي أنه ذهب إلى القول بأن ثقافة

(*) دكتور محمد أحمد صقر ، الاقتصاد الإسلامي .. مفاهيم ومرتكزات ، مرجع سابق ، ص . ص ٢٥ ــ ٧١ .

الإنسان قاصرة تنقصها الروح لتحقق للإنسان حضارته الفاضلة[1] . ويتجلى فشل الاقتصاديين الرأسماليين في الربط بين الناحيتين المادية والروحية في موقف بيجو الذي علق أهمية مبالغاً فيها على الرفاهية المادية كأساس لسعادة الإنسان .

وعلى الرغم من أن رادوميزلر قد أدرك أن الرفاهية الاقتصادية تتناول مشاعر وإحساسات الإنسان ، إلا أنه اعتقد أن دراسة تلك المشاعر والإحساسات مهمة علماء آخرين غير اقتصاديين كعلماء الاجتماع وعلماء النفس وبالتالي فإن مفهومه للمنفعة كان أيضاً مفهوماً مادياً بحتاً[2] .

٢ ــ إذكاء النظرة الفردية في التحليل الاقتصادي :

وينسجم المنهج الاقتصادي الرأسمالي لتحليل الرفاهية مع فلسفة الرأسمالية في الفقر والغنى . إذ ترى هذه الفلسفة كما سبق القول أن الفقراء مسئولون عن فقرهم وأن المجتمع بريء من فقرهم وبالتالي فإن الأغنياء ليسوا مسئولين عن مساعدة الفقراء إلا من باب العطف والإحسان وبالتالي فإن منهجهم في الرفاهية مبني على أساس مساعدة الفقراء دون أن يمس ذلك إشباع الأغنياء . ولذلك فقد انحصرت طرق علاجهم لمشكلة الفقر في محاولات عقيمة لا تمس الفقر من جذوره وبالتالي لم يقدموا للفقراء ما يسمن أو يغني من جوع Which will neither nourish nor satisfy hunger فبيجو يعتقد أنه يمكن زيادة مستوى الرفاهية بزيادة حجم الدخل القومي للمجتمع طالما أن هذه الزيادة لم يصاحبها نقص نصيب الفقراء من هذا الدخل ، أي أنه لم يشترط زيادة نصيب الفقراء كنتيجة لزيادة حجم الدخل القومي الكلي لتحقيق مستوى أعلى من الرفاهية . ولا ندري لماذا لم

(١) البهي الخولي ، الثروة في ظل الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٢) دكتور حسين عمر ، الاقتصاد التحليلي ، مرجع سابق .

ير زيادة مستوى الرفاهية بزيادة حجم الدخل القومي للمجتمع على شريطة أن تذهب هذه الزيادة أو أغلبها للفقراء .. إنها نظرة نرجسية قارونية لو جعل الله لأصحابها واديين من ذهب لتمنوا الثالث ولا يملأ عينهم في النهاية إلا التراب !!

ولا تختلف نظرة المجتمع الإقطاعي Feudal Society للرفاهية عن نظرة المجتمع الرأسمالي إذ أن المجتمع الإقطاعي يرى أن الأغنياء ذوو قدرة على التمتع بالدخل أكبر من الفقراء has greater capacity to enjoy income ، لذا فتركيز الدخل في أيدي النبلاء Nobles يحقق مستوى رفاهياً أعلى للمجتمع !!

ولو نظرنا إلى النماذج الاقتصادية التي وضعها الاقتصاديون الرأسماليون لتحليل الرفاهية لوجدنا أن هذه النماذج تشترط لتحقيق الرفاهية ألا يصبح أي فرد في المجتمع في وضع أسوأ أو أقل من ذي قبل . ومعنى هذا أنه يمكن إعادة النظر في توزيع الدخول على أفراد المجتمع لصالح الفقراء شريطة ألا يقل المستوى الرفاهي للأغنياء ، أي أنها نماذج ذات فلسفة فردية تحاول مساعدة الفقراء لكن ليس على حساب الأغنياء ، لذا فإن هذه النماذج لا تذهب بعيداً في حل مشكلة الفقر . وتتضح صرامة هذه النماذج في مواجهة الفقر والفقراء عندما تطالب الفقراء بتعويض الأغنياء في حالة حدوث إعادة لتوزيع الدخل وكان هؤلاء الفقراء أحسن حالاً على حساب الأغنياء الذين أصبحوا في وضع أقل من ذي قبل . ولو بقدر ضئيل !!! ، وهذا ما فعله كل من هيكس وكالدور فيما سمي بطريقة التعويض Compensation وأخيراً فقد أوضح معيار باريتو Pareto Criterion في تحليله الحديث لاقتصاديات الرفاهية أن السياسة الاقتصادية تكون مرغوباً فيها عندما تجعل فرداً أو أفراداً في وضع أفضل من ذي قبل دون أن تجعل أحداً في وضع أسوأ

An Economic policy is desirable when it makes one or more individuals better off without making anyone worse off.

وخلاصة القول فإن النماذج الاقتصادية التحليلية الرأسمالية لا تنظر إلى الرفاهية نظرة مجتمعية شاملة ، بل تنظر إليها نظرة فردية أو قل فئوية ، ولعل هذا يوضح الحاجة إلى نموذج شامل للإشباع الكلي للمجتمع وهو ما سيقدمه هذا البحث لأول مرة متمثلاً في بعض النماذج الإسلامية لتحليل الرفاهية !!! .

ثانياً : المنهج الماركسي للتحليل الاقتصادي للرفاهية :

ويرتكز المنهج الماركسي في تحليله لاقتصاديات الرفاهية على ركيزتين أساسيتين أيضاً هما :

١ ــ عدم الاعتراف أساساً بالناحية الروحية :

إذ أن الفكر الماركسي أو الفكر الشيوعي فكر كافر ملحد Infidel لا يؤمن بالله وبالتالي فهو يدور في دائرة مادية مغلقة مؤداها أن العوامل الاقتصادية هي وحدها المحدد Determinate للأوضاع الاجتماعية والسياسية بل والعقيدة إن وجدت !! إذ يذهب هذا الفكر إلى تفسير الدين نفسه تفسيراً مادياً !! ومن ثم فلا يعطي المنهج الماركسي للتحليل الاقتصادي للرفاهية أي حيز للناحية الروحية ، وبالتالي فلا يفرق هذا المنهج بين الإنسان والآلة التي يعمل بها إنه منهج ظالم ومظلم لم يجعل الله له نوراً فما له من نور God giveth not light, there is no light.

٢ ــ انعدام النظرة الفردية في التحليل الاقتصادي :

وينسجم المنهج الاقتصادي الماركسي للتحليل الاقتصادي للرفاهية مع الفكر الماركسي الذي لا يلقي بالاً للناحية الفردية على الإطلاق . وقد اعتمد هذا

المنهج على فرضين أساسيين هما تناقص المنفعة الحدية للنقود وتماثل دوال المنفعة الحدية للأفراد ومن ثم فتعظيم المنفعة الكلية للمجتمع يستلزم تساوي دخول الأفراد . أي أن المنهج الماركسي للتحليل بني على فكرة تذويب الفوارق بين الطبقات وذلك بتساوي دخول الأفراد Redistribution of income so that each individual has an equal income.

وعلى الرغم من أن الفرضين السابقين منطقيان إلى حد كبير ، إلا أن فكرة التذويب المبنية عليهما تتعارض مع الغريزة البشرية فتقتل الحافز الفردي الذي هو المحرك الأساسي للنشاط الاقتصادي .

المنهج الإسلامي للتحليل الاقتصادي للرفاهية

ويرتكز التحليل الاقتصادي الإسلامي للرفاهية المبين في هذا المنهج الاقتصادي على المفهوم الإسلامي للرفاهية The islamic doctorine of welfare وبصفة عامة يمكن توضيح ذلك المفهوم في شرح الركيزتين الأساسيتين التاليتين :

١ ـ للناحية الروحية The spritual side دور بارز في التحليل الاقتصادي الإسلامي :

فالنشاط الاقتصادي وإن كان مادياً بطبيعته إلا أنه ذو طابع ديني أو روحي وذلك قوامه الإحساس بالله سبحانه وتعالى وخشيته وابتغاء رضاه وبالتالي فالفرد في النشاط الاقتصادي يشعر أنه لا يتعامل مع فرد مثله فقط بل يشعر أنه يتعامل أساساً مع الله . ويترتب على ذلك أن تدور عجلة الحياة الاقتصادية في نطاق من القيم والمبادىء .

وتحتل القيم دوراً بارزاً في منهج الاقتصاد الإسلامي الذي ينطلق من مفاهيم الدين الإسلامي الحنيف The true islamic religion وتتسم القيم في الاقتصاد الإسلامي بسمات تسمو بها على غيرها من القيم وتخلق مناخاً اقتصادياً أفضل كثيراً من ذلك المناخ الذي يخلقه الاقتصاد الوضعي . ويرجع سمو هذه المبادىء إلى أنها ترتكز على معايير ربانية God criteria إذ أن هذه القيم أصلية ثابتة بنص القرآن الكريم وفي سنة رسول الله ﷺ الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى It is no less than inspiration sent down to him وبالتالي فإن هذه القيم

فيها السعادة الحقيقية للبشر إذ لا تخضع لاحتمالات الخطأ على الإطلاق . كذلك فإن بعض القيم الأخرى الفرعية مترتبة على تلك القيم الأصلية ونابعة من وجدان البشر واجتهادهم وفقاً للأصول الإسلامية وبالتالي فإن احتمال انحراف القيم الإسلامية عن جادة الصواب أقل بكثير مما هو عليه الحال في قيم النظم الاقتصادية الوضعية وعلى ذلك فإن المناخ العام الذي يخلقه منهج الاقتصاد الإسلامي أكثر إيجابية وينسجم مع طبيعة البشر أكثر من أي مناخ اقتصادي آخر(*) .

وتلعب القيم دوراً بارزاً في ترشيد السلوك الاقتصادي للأفراد وتجعل الفرد ينظر إلى نشاطه الاقتصادي بمنظور أرقى وأبقى فيتحرى الصدق والأمانة في كسبه لدخله وفي أدائه لما في دخله من حقوق للغير وكذلك في إنفاقه لهذا الدخل . إنه فرد رشيد لا يعتبر أن رأس المال هو مصدر العزة فيطلبه لعزته ، بل إنه يؤمن بأن من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً If any do seek for glory and power, to God belong all glory and power.

وللناحية الروحية والأخلاقية دور هام في التحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية ، إذ أن الفرد في المجتمع يجب أن يهتم بالآخرين وبمشاعرهم وأحاسيسهم ، فالغني ينبغي أن يراعي ذلك عند منحه الصدقة للفقير فلا يؤذي شعوره فيقل إشباعه من تلقي تلك الصدقة أو ينعدم كلية ، وبالتالي تقل منفعته من تلك الصدقة أو تنعدم ولذلك حذر الله جل وعلا المؤمنين بألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى ، Cancel not their charity by reminders of their generosity or by injury

(*) دكتور إبراهيم دسوقي أباظة ، الاقتصاد الإسلامي .. مقوماته ومنهاجه ، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، القاهرة ، يوليو ١٩٧٣م ، ص . ص ٩ — ١٢ .

فقد قال الله جل وعلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ سورة البقرة ، الآية رقم ٢٦٤ . وقد يزداد الأمر سوءاً إذا ما كان للصدقة تأثير عكسي على الفقير وذلك إذا تبعها هذا الأذى فأدت إلى ضرره his sin وليس منفعته أي حققت له منفعة سالبة Disutility بالمفهوم الاقتصادي ، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ سورة البقرة ، الآية رقم ٢٦٣ . كذلك على الرغم من أن الإسلام قد حض على الصدقة سراً وعلانية إلا أنه فضل التصدق سراً ، ففي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ بشأن سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله أن منهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه[(١)] .

كذلك فقد فضل رسول الله ﷺ التصدق على الأقرب فالأقرب . إذ أن حصول الفقير على الصدقة من قريبه قد يزيد من منفعتها لديه إذا ما قورنت بمنفعة صدقة أخرى يحصل عليها من شخص آخر غير قريب ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن تصدق الغني على قريبه يعود على هذا الغني بمنفعة مردها إلى سعادته وعزته إذا امتنع قريبه الفقير عن أن يتكفف الناس ، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل : « ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك »[(٢)] .

---

(١) محمد بن محمد بن سليمان المغربي ، جمع الفوائد الجامع لكتب السنة المطهرة من جامع الأصول ومجمع الزوائد لابن الأثير والهيثمي ، المكتبة الجامعية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٤هـ ، الجزء الأول ، ص ٢٦٢ .

(٢) مسلم بن الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، طبعة استانبول ، ١٣٣٢هـ ، الطبعة الثالثة من الحواشي المأخوذة من شرح الإمام النووي ، ص ٧٨ .

٢ ـــ يتسم التحليل الاقتصادي الإسلامي للرفاهية بالنظرة المجتمعية الشاملة :

وتختلف فلسفة النظام الاقتصادي الإسلامي في نظرتها للرفاهية عن فلسفة كل من الرأسمالية والماركسية ، فالإسلام لا يذكي الجانب الفردي كما هو الحال في الرأسمالية كما أنه لا يعدم هذا الجانب كلية كما هو الحال في الماركسية . فالإسلام يرى أن المال مال الله وأن الإنسان مستخلف فيه لذا حدد في مال الغني حقاً معلوماً للسائل والمحروم وفي الوقت الذي حث فيه الغني على التصدق بالترغيب والترهيب اهتم كذلك بألا يتحول الغني إلى فقير أو محتاج نتيجة تصدقه . كذلك اختلفت فلسفة النظام الاقتصادي الإسلامي عن فلسفة الرأسمالية التي ترى مساعدة الفقراء إلى الحدود التي لا تمس إشباع الأغنياء وذلك على نحو ما تقدم في أفكار بيجو وفي معيار باريتو . إذ أن النظام الإسلامي لا يمانع على الإطلاق من مساعدة الفقراء حتى لو مس ذلك مستوى إشباع الأغنياء . كذلك تختلف هذه الفلسفة مع الفلسفة الماركسية التي تنادي بتذويب الفوارق بين الطبقات إذ أن الفلسفة الاقتصادية الإسلامية هي تقريب تلك الفوارق لا تذويبها كلية . ويتناول الجزء التالي شرحاً لبعض النماذج الاقتصادية الإسلامية المقترحة لتحليل الرفاهية وهي نموذج أبي ذر الغفاري ونموذج عبد الرحمن بن عوف .

ويرتكز كل من النموذجين الاقتصاديين الإسلاميين المقترحين على الفرض القائل بتناقص المنفعة الحدية للدخل Diminishing marginal utility of income وهذا فرض مقبول لدى فريق كبير من الاقتصاديين الرأسماليين ويتفق تماماً مع وجهة النظر الماركسية في هذا الصدد(*) كما أنه مقبول لدى الاقتصاديين

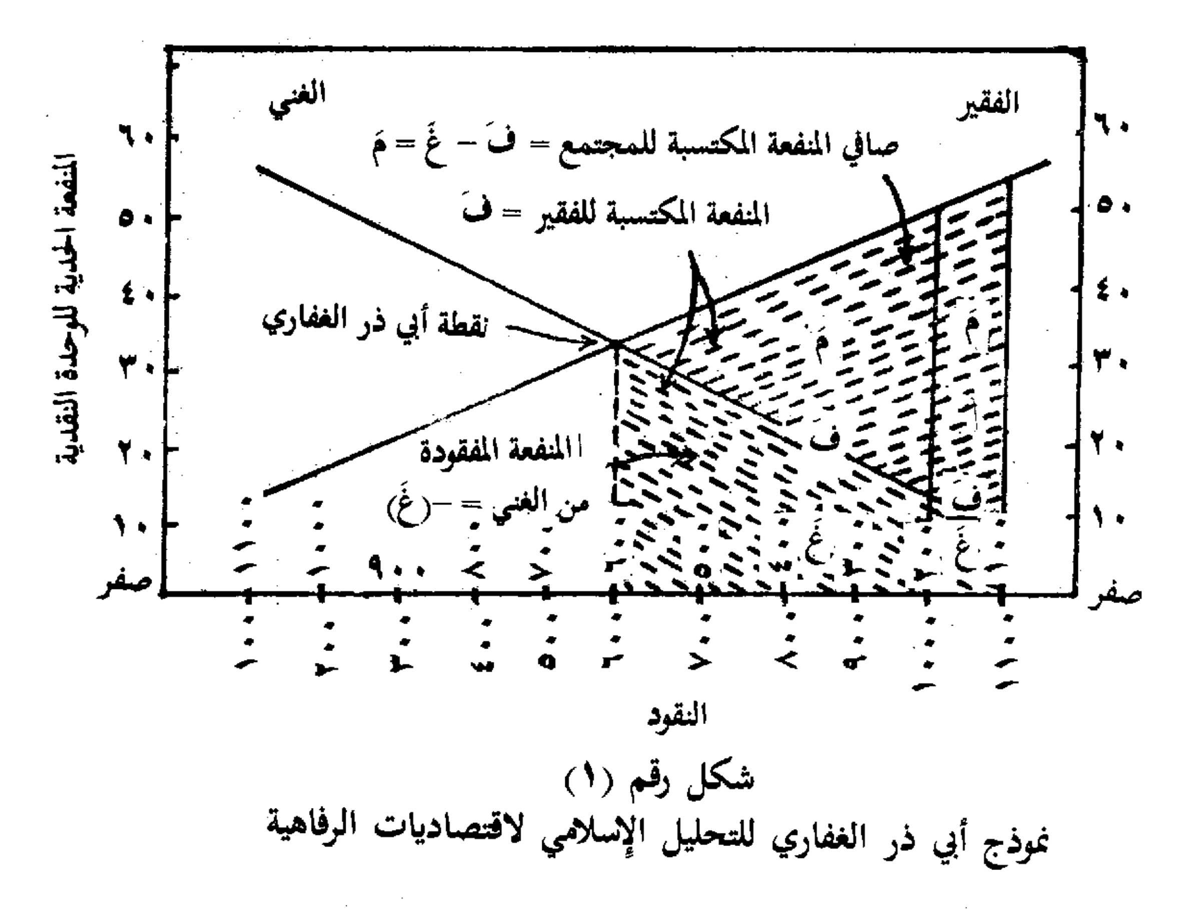
(*) استخدم فرض تناقص المنفعة الحدية للدخل على نطاق واسع في تحديد التزامات الأفراد تجاه مجتمعاتهم في الدول الغربية خاصة فيما عرف بالضريبة التصاعدية Ascending tax .

المسلمين Moslem economists (*)

أولاً : نموذج أبي ذر الغفاري للتحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية :

ويوضح شكل رقم (١) نموذج أبي ذر الغفاري للتحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية (حالة المنفعة الموجبة) وبه منحنيان للمنفعة الحدية أحدهما للفقير والآخر للغني . كذلك يظهر في الشكل أيضاً نقطة أصل لكل من الطرفين إحداهما في أسفل الجانب الأيسر للشكل وهي خاصة بالفقير والأخرى في أسفل الجانب الأيمن منه خاصة بالغني . فعلى مستوى التحليل الاقتصادي الجزئي Microeconomic يمكن تصور أن الطرف الغني قد تصدق بوحدة نقدية واحدة (١٠٠ جنيه مثلاً) فإن قيمة نقوده تقل من ١١٠٠ جنيه إلى ١٠٠٠ جنيه وفقد نتيجة لذلك مقدار المنفعة الحدية المظلل أسفل منحني المنفعة الحدية الخاصة به وقدرها غَ . وفي نفس الوقت ستزيد هذه الصدقة من مال الفقير من ١٠٠ جنيه إلى ٢٠٠ جنيه وبالتالي يكتسب قدراً من المنفعة الحدية يمثلها الجزء المظلل أسفل منحني المنفعة الحدية الخاص به وقدرها فَ . وواضح أن المنفعة الحدية المفقودة من الغني غَ أقل من المنفعة المكتسبة للفقير فَ أي أن هناك صافي منفعة مكتسبة للمجتمع الإسلامي مقدارها فَ - غَ = مَ وهي الجزء المظلل بين منحنيي المنفعة الحدية للطرفين . وباستمرار تصدق الغني على الفقير تقل المنفعة الكلية للغني وتزيد المنفعة الكلية للفقير بقدر أكبر وبذلك يحقق

(*) دكتور أمين منتصر ، دراسة اقتصادية تحليلية لحكمة تحريم بعض بيوع الحاصلات الزراعية ، المؤتمر الدولي العاشر للإحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية والسكانية ، ٣٠ مارس ـــ ٤ إبرايل ١٩٨٥م ، ص ٥٨٩ .



شكل رقم (١)
نموذج أبي ذر الغفاري للتحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية

المجتمع صافي منفعة مكتسبة موجبة(*) ويقترب الفارق بين كل منهما وذلك إلى أن يتقاطع منحنيا المنفعة الحدية للطرفين فيـذوب الفـارق بينهمـا ويـتساوى إشباعهمـا Equalize their satisfactions.

وتهدف فلسفة المنهج الاقتصادي الإسلامي في تحليـل الرفاهيـة إلى تقـريب الفارق بين الغني والفقير لضمان حد الكفاية Sufficiency demarcation للفقراء ولـيس إلى تذويب ذلك الفـارق فالإسلام ديـن وسط Islam is a religion justly balanced إذ أن التقريب بين الدرجـات يتـلاءم مع الاستعـداد الفطـري للإنسان The instinctive readiness of man ، وهو ما قرره الله سبحانه وتعـالى بقولـه عز وجل ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾ سورة الزخـرف ، جزء من الآية رقـم ٣٢ . ولـذلك فقـد حض Incitement رسول الله ﷺ على التصدق على الفقـراء بالـــفضل What is beyond the needs على أن يترك الغني لنفسه وأهله ما يكفيه ويغنيـه عن النـاس وذلك بقولـه رضوان الله عليـه

(*) $MU(Y)_{P\ 100 \rightarrow 200} - MU(Y)_{R\ 1100 \rightarrow 1000}$ = Net gained utility for society and

$TU(Y)_{P\ 100 \rightarrow 600} - TU(Y)_{R\ 1100 \rightarrow 600}$ = Net gained utility for society

Where:

$$TU(Y)_{P\ 100 \rightarrow 600} = \sum_{Y=100}^{600} MU(Y)_P$$

$$TU(Y)_{R\ 1100 \rightarrow 600} = \sum_{Y=1100}^{600} MU(Y)_R$$

$MU(Y)_P$ and $TU(Y)_P$ are the marginal and total utility for poor person respectively,

$MU(Y)_R$ and $TU(Y)_R$ are the marginal and total utility for rich person respectivity.

« أفضل الصدقات ما ترك غني »(١) ، أي أن أفضل الصدقات ما لا يفقر المتصدق أو يجعله محتاجاً . وخلاصة القول فإن على الأغنياء أن يحاولوا التقريب بينهم وبين إخوانهم الفقراء .

ومن ناحية أخرى فقد ذهب بعض الصحابة إلى مدى أبعد من ذلك في تصدقهم على الفقراء ، إذ عمد بعضهم إلى التصدق بكل ما يزيد عن حاجتهم بحيث لا يبيت في بيته شيء من فضل إلا وقد تصدق به أي أنه يحاول أن يتصدق على الفقراء إلى الحد الذي يتساوى فيه إشباعه مع إشباع الفقراء الذين يتصدق عليهم ومن أمثال هؤلاء أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إذ أنه انتهج منهج التذويب لا التقريب بين الدرجات ، فقد كان يحارب اكتناز الأموال كلية وكان يحذر الكانزين بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ سورة التوبة ، الآيتين رقمي ٣٤ ، ٣٥ . وتعتبر نقطة تقاطع منحنيي المنفعة الحدية للغني والفقير هي نقطة تذويب الفورق بين الدرجات والتي أطلق عليها نقطة معيار التذويب Melting criterion point أو نقطة أبي ذر الغفاري(٢)! .

وعلى الرغم من أن الإسلام لم يأمر بتذويب الفوارق بين الدرجات إلا أنه لم يحرم ذلك طالما أنه يتم اختيارياً وليس قسراً أو مظهرياً خادعاً كالشيوعية . بل إن الله سبحانه وتعالى يجازي كل امرىء بقدر تصدقه وإنفاقه إذ قال جل وعلا :

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، الجزء الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، كتاب النفقات ، ص ٢ .

(2) At Melting criterion point $MU(Y)_P = MU(Y)_R$

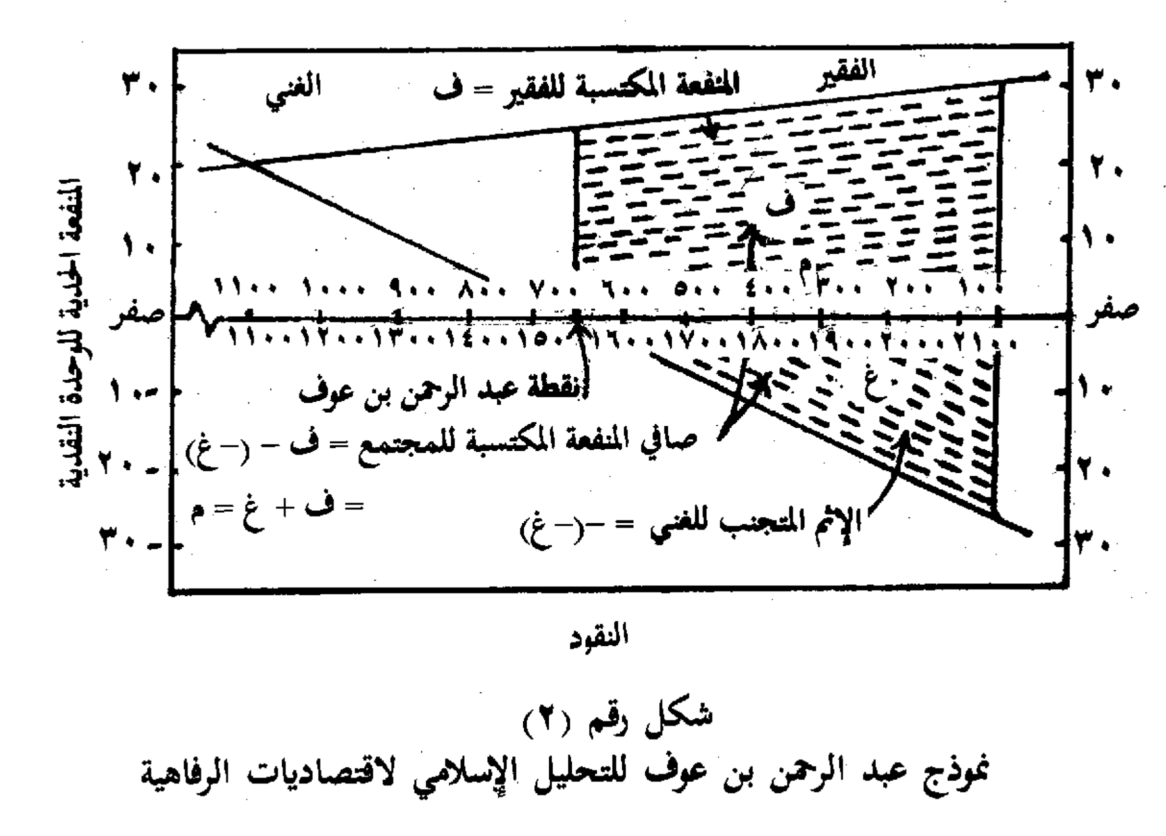
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ سورة البقرة ، الآية رقم ٢٦١ . وبصفة عامة فقد انتهج المسلمون الأوائل منهج التقريب أما أبو ذر الغفاري وبعض صحابة آخرين فكانوا نسيج وحدهم ، ولم لا وقد قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه « يرحم الله أبا ذر يمشي وحده .. ويموت وحده .. ويبعث وحده .. »(*) .

ثانياً : نموذج عبد الرحمن بن عوف للتحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية :

ويوضح الشكل رقم (٢) نموذج عبد الرحمن بن عوف للتحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية (حالة المنفعة السالبة) وبه أيضاً منحنيان للمنفعة الحدية أحدهما للفقير والآخر للغني . كما يظهر في الشكل أيضاً نقطتا أصل إحداهما في منتصف الجانب الأيسر للشكل خاصة بالفقير والأخرى في منتصف الجانب الأيمن منه خاصة بالغني . ويتبين من الشكل أن منحني المنفعة الحدية للفقير في الجانب الموجب من الشكل ، أي أن المنفعة الحدية للفقير موجبة . كما يتبين من الشكل أن منحني المنفعة الحدية للغني في الجانبين الموجب والسالب من الشكل أي أن المنفعة الحدية للغني ذات جزء موجب وذات جزء آخر سالب .

وبالنسبة لحالة المنفعة السالبة Negative utility للنقود هذه فينبغي فيها على الغني أن يتصدق على الفقراء على الأقل إلى أن يتخلص من مفعة نقوده السالبة (الإثم Sin) إلى أن تساوي الصفر ، وهي نقطة تقاطع منحني المنفعة الحدية للنقود مع المحور الأفقي للنقود . إذ أن التصدق بأقل من ذلك بافتراض

(*) خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .



شكل رقم (٢)

نموذج عبد الرحمن بن عوف للتحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية

ثبات الإنفاق الاستثماري فيه ضرر على الغني إذ أن المنفعة السالبة للنقود معناها إنفاقه للنقود في المعاصي والشهوات . ولذا فإن الإمساك عن التصدق بهذه النقود في هذه الحالة فيه شر للغني ففي الحديث « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول . واليد العليا خير من اليد السفلى »[١] كذلك فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ سورة البقرة ، الآية رقم ١٩٥ .

وبالنظر إلى شكل رقم (٢) يتضح منه أن تصدق الغني على الفقير من ٢١٠٠ جنيه إلى ١٦٠٠ جنيه سوف يزيد حصيلة نقود الفقير من ١٠٠ إلى ٦٠٠ جنيه وبذلك يحقق منفعة كلية مكتسبة **Total gained utility** مقدارها ف ويمثلها الجزء المظلل أسفل خط المنفعة الحدية للفقير وحتى المحور الأفقي . وفي نفس الوقت فإن الغني سوف يتجنب ضرراً قدره (– غ) ويمثله الجزء المظلل بين منحني المنفعة الحدية للغني في جزئه السالب وحتى المحور الأفقي . وفي هذه الحالة ستكون صافي المنفعة المكتسبة للمجتمع = ف – (– غ) = ف + غ = م ويمثلها مجموع الجزأين المظللين بالشكل وهي المسافة بين منحنيي المنفعة الحدية لكل من الغني والفقير وحتى نقطة تقاطع منحني المنفعة الحدية للغني مع المحور الأفقي[٢] .

---

(١) مسلم ابن الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٩٤ .

(2) $$MU(Y)P_{100 \rightarrow 200} - (-MU(Y)R)_{2100 \rightarrow 2000}$$
$$= MU(Y)P_{100 \rightarrow 200} + MU(Y)R_{2100 \rightarrow 2000}$$

=

ومن ذلك فقد كان الصحابة الأغنيـــاء رضوان الله عليهم حريصين كل الحرص على تجنب ذلك الإثم أو الضرر بألا يقل تصدقهم على الفقراء عن الحد الذي يمكنهم من التخلص من منفعتهم السالبة أي الضرر وأن يذهبوا في إنفاقهم على الفقراء أبعد من ذلك بالتصدق بجزء من منفعتهم الموجبة على النحو الموضح في الحالة الأولى . ومن أمثال هؤلاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الذي كان يأبى أن يتخلف به ثراؤه عن ركب الإيمان ولقد كان دائم الخوف من أن يحبس عن أصحابه في الآخرة لكثرة ماله من مال خوفاً من أن يحيــق به ضرر أو إثم إذا لم يحسن التصرف فيه إذ كان يخشى أن ينطبق عليه قول الله جل وعلا : ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ سورة الأحقاف ، جزء من الآية رقم ٢٠ . وعلى ذلك فقد أطلق على نقطة تقاطع منحني المنفعة الحدية للغني مع المحور الأفقي بنقطة معيار التقريب Approximating criterion point أو نقطة عبد الرحمن بن عوف(*) .

=

and

$$TU(Y)P_{100 \to 600} - (-TU(Y)R)_{2100 \to 1600} = TU(Y)P_{100 \to 600} + TU(Y)R_{2100 \to 1600}$$

where

$$TU(Y)P_{100 \to 600} = \sum_{Y=100}^{600} MU(Y)_P$$

$$TU(Y)R_{2100 \to 1600} = \sum_{Y=2100}^{1600} MU(Y)_R$$

$MU(Y)_P$ and $TU(Y)_P$ are the marginal and total utility for poor person respectively,

$MU(Y)_R$ and $TU(Y)_R$ are the marginal and total utility for rich person respectively.

(*) At Approximating criterion point $MU(Y)_R$ = zero

وبصفة عامة يمكن القول بأن نموذج أبي ذر الغفاري للتحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية يوضح الحد الأقصى للعلاقة بين الغني والفقير من وجهة النظر الإسلامية بينما يوضح نموذج عبد الرحمن بن عوف للتحليل الإسلامي لاقتصاديات الرفاهية الحد الأدنى لتلك العلاقة . ومن ثم يمكن القول بأن العلاقة بين الغني والفقير من وجهة النظر الإسلامية لا بد وأن تكون في المدى الواقع بين نقطة أبي ذر الغفاري ونقطة عبد الرحمن بن عوف . فالإسلام لا يحرم التصدق على الفقراء إلى الحد الذي تتساوى فيه المنفعة الحدية للنقود للغني مع المنفعة الحدية للنقود للفقير طالما أن ذلك لم يتم جبراً بل تم طواعية كما هو الحال في نقطة أبي ذر الغفاري . وفي نفس الوقت فالإسلام يحرم أن تكون المنفعة الحدية للنقود للغني سالبةً بينما أخوه يتضور جوعاً ، فينبغي على الغني أن يتصدق على الفقير في هذه الحالة على الأقل إلى أن تصبح منفعته الحدية للنقود موجبة كما هو الحال في نقطة عبد الرحمن بن عوف(*)

وعلى مستوى التحليل الاقتصادي الكلي Macroeconomic فيمكن اعتبار أن منحنيي المنفعة الحدية للنقود السابق الحديث عنهما لكل من الفقير والغني يمثلان منحنيي المنفعة الحدية للنقود لدرجتين هما درجة الفقراء ودرجة الأغنياء . وبتطبيق نفس قواعد التحليل السابق يمكن التأكد من صحة نفس النتائج السابق التوصل إليها عند هذا المستوى الكلي .

(*) Al-Maududi, Abul-A'la, Economic Probblems of Man and its Islamic Solution, Lahor: Islamic Publications, 2nd ed. 1970.

,

Couran , S. , Discussion, the Process of Group Decision Making, Harper & Row, N. Y. 1974 P. 44 - 60.

,

Heider, F. The Psychology of Interpersonal relations. New York: wiley, 1958. P. 110.

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

١ ـــ إبراهيم دسوقي أباظة (دكتور) ، الاقتصاد الإسلامي .. مقوماته ومنهاجه ، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ، القاهرة ، يوليو ١٩٧٣م .
٢ ـــ أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داوود ، ضبطه الشيخ محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، كتاب الأدب ، ص ١٠١ .
٣ ـــ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، الجزء الأول ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
٤ ـــ .... ، الأدب المفرد ، حقق نصوصه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ .
٥ ـــ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .
٦ ـــ البهي الخولي ، الثروة في ظل الإسلام ، الناشرون العرب ، القاهرة ، ١٣٩١هـ ـــ ١٩٧١م .
٧ ـــ أمين عبد العزيز منتصر علي (دكتور) ، دراسة اقتصادية تحليلية لحكمة تحريم بعض بيوع الحاصلات الزراعية ، المؤتمر الدولي العاشر للإحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية والسكانية ، اقتصاد زراعي ، ٣٠ مارس ـــ ٤ إبريل ١٩٨٥م .

٨ ـــ حسين عمر (دكتور) ، الاقتصاد التحليلي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م .

٩ ـــ خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة .

١٠ ـــ محمد أحمد صقر (دكتور) ، الاقتصاد الإسلامي .. مفاهيم ومرتكزات ، المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي ، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، ١٩٨٠م .

١١ ـــ محمد بن محمد بن سليمان المغربي ، جمع الفوائد الجامع لكتب السنة المطهرة من جامع الأصول ومجمع الزوائد لابن الأثير والهيثمي ، المكتبة الجامعية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٤هـ ، الجزء الأول .

١٢ ـــ مسلم بن الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، طبعة استانبول ، ١٣٣٢هـ ، الطبعة الثالثة من الحواشي المأخوذة من شرح الإمام النووي .

١٣ ـــ يوسف القرضاوي (دكتور) ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1- Al-Maududi, Abul-A'la. Economic problems of man and its Islamic Solution, Lahor: Islamic Publications. 2nd ed., 1970.

2- Couran, S., Dicussion, the Process of Group Decision Making, Harper & Row, N. Y. 1974.

3- Heider, F. The Psychology of Interpersonal relations. New York: wiley, 1958.
4- Robert Y. Awh: Microeconomic: Theory and Applications, John wiley & Sons, Inc. New York, 1976.
5- Tweeten, Luther, Foundation of Farm Policy, University of Nebraska Press, Lincoln, 1970.

SUMMARY

This study concerns with the economic analysis of the islamic concept of the economic welfare. This concept various from Capitalism and Marxisme socialism and other concepts. It recognizes the spiritual side of analysis and it is social and comprehensive. This study has introduced tow new models for the islamic economic welfare. These models explain the unique and distinguished islamic doctorines which close among the poor and rich categories.

These two models are called Abu Zar Al-Gaffary Model for the Islamic analysis of the economic welfare and Abd Al-Rahman Bn Awf Model for the Islamic analysis of the economic welfare. Generally, it may stated that Abu Zar Al-Gaffary Model explains the maximum limit of relation between both rich and poor persons from the Islamic point of view. On the other hand,Abd Al-Rahman Bn Awf Model explains the minimum limit of the above relation from the Islamic point of view. Hence, it can be stated that the relation between the rich and the poor persons from the Islamic point of view is located in the range between Abu Zar point which is called melting criterion point and Abd Al-Rahman Bn Awf point which is called Approximating criterion point. Since Islam does not

prohibit giving alms of charity to the poor person to the limit of which the marginal utility of money for the rich person equalize the marginal utility of money for the poor person as long as the rich person is not forced to do so, as the case of Abu Zar Al-Gaffary point. On the other hand, Islam prohibits that the marginal utility of money for the rich person be negative at the time of which his poor brother suffers from hunger. In this case the rich person has to give alms of charity to the poor one at least to the limit of which his marginal utility of money be positive, as the case of Abd Al-Rahman Bn Awf point.

فهرس الموضوعات

نبذة عن الباحث

- دكتور أمين عبد العزيز منتصر من مواليد القاهرة عام ١٩٤٨م .
- حصل على بكالوريوس الاقتصاد الزراعي بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر بالقاهرة عام ١٩٧٠م . ثم الماجستير في التمويل الزراعي من نفس الجامعة عام ١٩٧٤م .
- حصل على دراسات في اللغة الإنجليزية من جامعة تنسي الأمريكية عام ١٩٧٦م .
- حصل على الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي والإحصاء من جامعة ولاية المسيسبي الأمريكية عام ١٩٧٩م .
- عمل زميل باحث في الاقتصاد بجامعة ولاية متشجن الأمريكية عام ١٩٨٠م .
- كلف معيداً بقسم الاقتصاد الزراعي بجامعة الأزهر بالقاهرة عام ١٩٧٠م ثم عين مدرساً مساعداً عام ١٩٧٤م ثم مدرساً عام ١٩٨٠م ثم أستاذاً مساعداً بنفس القسم عام ١٩٨٥م .
- معار أستاذاً مشاركاً بقسم الاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة منذ عام ١٩٨٦م .
- له العديد من البحوث والمؤلفات باللغتين العربية والإنجليزية في الاقتصاد العام والاقتصاد الزراعي والاقتصاد الإسلامي والإحصاء وبحوث العمليات ويغلب على أبحاثه طابع التحليل الكمي .
- شارك في بحوث عديدة بجامعات المسيسبي ومتشجن وكاليفورنيا الأمريكية وجامعة الأزهر وبعض الجامعات المصرية الأخرى ووزارة الزراعة المصرية .
- شارك في العديد من المؤتمرات الاقتصادية الدولية .